تأسيس أيالة الجزائر

محمد دراج*

توطئة:

إن تأسيس أيالة لم يتم بقرار مفاجئ نتيجة لوفد تم إرساله إلى إسطنبول لاستصدار قرار سلطاني يقضي بضم الجزائر إلى الدولة العثمانية وتعيين خير الدين بربروس واليا عاما عليها برتبة بايلرباي كما يتوهم البعض. بل تم ذلك عبر مراحل زمنية طويلة نسبيا. وساهمت الظروف والمتغيرات السياسية التي عاشتها منطقة الشمال الإفريقي والأندلس أفضت في نهايتها إلى إلحاق الجزائر بالدولة العثمانية على النحو الذي صار معروفا لدى الباحثين.

ولا شك أن الوفد الذي أرسله أهالي الجزائر لمقابلة السلطان سليم الأول عارضين عليه حماية بلدهم من العدوان الإسباني كان يمثل إحدى الحلقات المفصلية في تاريخ الجزائر. غير أن تلك البعثة لم تكن الأولى و لم تكن الأخيرة في سلسلة الوفود التي تتابعت على إسطنبول قبل وبعد ذلك.

ولعل إدراك مراحل الدخول العثماني إلى الجزائر يمكن فهمه من خلال تتبع الوفود التي أرسلت لمقابلة السلطان سليم الأول ثم السلطان سليمان القانوني. ونعتقد بأن معرفة الظروف التي أحاطت بإرسال تلك الوفود سوف يسهل على الباحث إدراك الأرضية التي هيأت الجزائر لكي تصبح ولاية عثمانية.

الوفود التي أرسلت لمقابلة السلطان العثماني

1. سفارة بيري رئيس إلى إسطنبول بين 1514– 1516

أرسل هذا الوفد لمقابلة السلطان العثماني سليم الأول بإستانبول قبل خروج هذا الأخير لغزو مصر والقضاء على دولة المماليك(1).

لقد آثر الإخوان عروج وخير الدين بربروس أن يجعلا على رأس الوفد المرسل لمقابلة السلطان العثماني سليم الأول أن يكون شخصية معروفة لدى السلطان. فكان القرار أن يكون رئيس الوفد البحار والجغرافي التركي بيري رئيس، ابن أخي كمال رئيس الذي كان السلطان بايزيد الثاني قد كلفه بالإغارة على سواحل إسبانيا حينما استغاث به مسلمو غرناطة. لقد كان الأخوان بربروس يريدان أن يقولا من خلال الوفد الذي يرأسه بيري رئيس بأنهما **يكملان مهمة كمال رئيس، رغم أن ظروف المسلمين اليوم أكثر خطورة مما كانت عليهم حينما كانوا محاصرين خلف أسوار غرناطة(2)**.

* أستاذ محاضر، جامعة الجزائر (2)

وعندما وصل الوفد إلى إسطنبول احتفى السلطان به احتفاء كبيرا، وكافأ الأخوين عروج على ذلك بسفينتين محملتين بمختلف المعدات العسكرية، بالإضافة على سيفين قد حلّيت قبضة كلٍّ منهما بالماس، وخلعتين سلطانيتين ونيشانين ملكيين(3).

في هذا الوقت كان الأخوان بربروس لا يزالان مستقرين في حلق الوادي بتونس(4). وقد تخلل إرسال الهدايا السلطانية من السلطان سليم الأول إلى الإخوة بربروس إرسال خط همايوني(5) لا نعرف محتواه. إلا أن الخط الهمايوني الآخر الذي بعثه إلى السلطان الحفصي يأمره فيه بضرورة تنفيذ التعاليم الواردة فيه والتحذير ـــ بلغة تهديدية ـــ من مخالفته، توحي بأن الإخوة بربروس قد أصبحوا في حماية السلطان العثماني منذ هذا التاريخ. ويؤيد ذلك ما صرح به خير الدين نفسه في مذكراته في معرض تعليقه على موقف سلطان تونس من ذلك :

"..**لقد أدرك السلطان ـــ أي سلطان تونس ـــ بأننا لم نعد مجرد قراصنة بائسين مجردين من أي حماية. بل لقد صرنا في خدمة وحماية السلطان العثماني المعظم**. .."(6).

إن الذي يمكن استنتاجه من هذه الرواية هو أن الإخوة بربروس يكونان قد دخلا بشكل رسمي في خدمة الدولة العثمانية وصارا منذ هذا التاريخ تحت حمايتها. لكن لا يوجد لدينا ما يدل على أن السلطان قد عين عروج أو خير الدين في منصب رسمي باسم الدولة العثمانية. وعلى هذا فإن هذه المرحلة من علاقتهما بالدولة العثمانية تتسم بضمان حماية الدولة العثمانية لهما وتطابق سياسة الإخوة بربروس في غرب المتوسط مع سياسة الدولة العثمانية.

وخلال وجود الوفد الذي يمثل الإخوة بربروس في إسطنبول، وصل وفد من أعيان بجاية إلى تونس يحمل رسالة من أهالي بجاية يطلبون فيها تدخل الإخوة بربروس لتحرير مدينتهم من الاحتلال الإسباني. حيث جاء في تلك الرسالة:

" **إن كان ثمة مغيث بعد الله ـــ فليكن منكم أيها المجاهدون الأبطال. لقد صرنا لا نستطيع أداء الصلاة أو تعليم أطفالنا القرآن الكريم لما نلقاه من ظلم الإسبان. فها نحن نضع أمرينا بين أيديكم. جعلكم الله سببا لخلاصنا بتسليمه إيانا إليكم. فتفضلوا بتشريف بلدنا وعجلوا بتخليصنا من هؤلاء الكفار**"(7).

فكان من نتيجة ذلك أن جهز الإخوة بربروس للمرة الثانية حملة لفتح بجاية غير أنها لم تكلل بالنجاح بسبب نفاد البارود، ورفض السلطان الحفصي تزويدهما به، خوفا من أن يحققا انتصارا ساحقا على الإسبان، مما يؤدي إلى تعلق الناس بهما، وازدياد نفوذهما مما يشكل خطرا عليه حسب تقديره(8).

لقد كان لهذا الاتصال أهميتان كبيرتان على مستقبل الوجود العثماني في شمال إفريقيا:

الأولى: أنها أعطت الصبغة الرسمية للعلاقة بين الأخوين بربروس والدولة العثمانيـــة، وذلك من خلال الحماية التي قدمها السلطان العثماني للبحارة الأتراك في شمال إفريقيا بزعامة الأخوين بربروس.

الثانية: تحول العلاقة بين السلطان الحفصي والإخوة بربروس من دور الحليف الناصر إلى الخصم المنـــاوئ. حيث بدأ السلطان يجاهر بعداوته للأخوين بربروس بدافع الخوف على عرشه(9).

2. سفارة مصلح الدين قورد أوغلو رئيس إلى الإسكندرية في حدود 1516

وصل هذا الوفد برئاسة البحار التركي مصلح الدين قورد اوغلو رئيس إلى الإسكندرية ترافقه عدة قطع بحرية. وذلك في أثناء وجود السلطان سليم الأول بها بعد دخوله إلى القاهرة. وقد ذكر خير الدين بربروس في مذكراته(10) بأن السلطان احتفى بالوفد وأمده بعدد كبير من الجنود والمعدات الحربية، فأخذ مصلح الدين ذلك كله وعاد بها إلى الجزائر(11).

ويلاحظ هنا بأن كلا من المصادر العربية والتركية لا تذكر بأن خير الدين بعث مع الوفد رسالة معينة، أو أن السلطان كتب له رسالة تحمل أوامر خاصة. والذي يبدو من خلال المذكرات هو أن هذه الزيارة لم تكن مبرمجة، بل حدثت بشكل عرَضي فقط. وذلك في أثناء وجود بحارة خير الدين في السواحل القريبة من مصر، فصادف ذلك وجود السلطان العثماني

بها(12). ومن الجائز بأن هذا الوفد قد أرسل بقصد تهنئة السلطان العثماني بدخوله إلى مصر .وهو الذي يترجح رغم سكوت المصادر عن ذلك.

3.سفارة حاجي حسين آغا إلى إسطنبول في حدود 1519

بعد مقتل عروج في تلمسان بايع أهالي العاصمة أخاه خير الدين سلطانا عليهم. فأعلم خير الدين أعيانها بأنه لا يقوى بإمكنياته المحدودة أن يتصدى للإسبان، وقد رأى كثرة المؤامرات والدسائس التي يحيكها الزعماء المحليون في مناطق مختلفة من البلاد. والتي كانت من أثرها مقتل أخويه عروج وإسحاق. واقترح عليهم أن يعرضوا تبعيتهم للدولة العثمانية فيدخلون بذلك في حماية سلطانها ويقرأون الخطبة ويسُكُّون النقود باسمه. فوافق زعماء الجزائر على ذلك وأرسلوا وفدا يمثل الجزائر وأهاليها يترأسه ـــ حسب ما جاء في رسالة أهالي الجزائر ـــ الشيخ أبي العباس أحمد بن القاضي(13). كما أرسل خير الدين مع الوفد ممثلا له يدعى: **حاجي حسين آغا(14)**.فاستقبل الوفد من طرف السلطان سليم الأول وبالغ في إكرامهم. وفي نهاية الزيارة بعث السلطان بقرار تعيينه بيلرباي على الجزائر مع سيف مُرصّع وخِلعة مُذَهَّبة وراية الإمارة(15).

تذكر بعض المصادر بأن السلطان سليم الأول بعث بسفينتين محملتين بالأسلحة يرافقهما 2000 من الإنكشارية. كما تذكر بأن السلطان قد أذن لخير الدين بأن يجمع ما يشاء من الشباب من الأناضول لتجنيدهم للعمل في الجزائر، ومنح كلاً منهم امتيازات الانكشارية(16). غير أن أيًّا من ذلك لم يشر إليه خير الدين في مذكراته، وهو أمر نستغربه و لم نجد له أي تفسير رغم أهميته وضرورته لتوضيح ظروف انضمام الجزائر إلى الدولة العثمانية.

من خلال ما سبق يتضح بأن الجزائر أصبحت ولاية عثمانية اعتبارا من تاريخ إرسال القرار السلطاني (الفرمان) إلى خير الدين بربروس والقاضي بتعيينه واليا عاما على الجزائر برتبة بايلرباي. وذلك بناء على طلب أهالي الجزائر من خلال الوفد المرسل إلى إسطنبول برئاسة الشيخ أحمد ابن القاضي في سنة 1519. ومنذ هذا التاريخ أصبحت الجزائر ولاية عثمانية ذات امتيازات خاصة(17).

أساب انضمام الجزائر إلى الدولة العثمانية وتأسيس أيالة الجزائر

لا شك بأننا عندما ندقق النظر في طبيعة الصراع الدائر في هذه الرقعة الملتهبة من العالم الإسلامي تلوح لنا عدة أسباب ودوافع أسهمت بشكل أو بآخر في الإسراع بطلب إلحاق الجزائر بالدولة العثمانـــية، ومن ثم تأسيس أيالة الجزائر. ويمكن الإشارة إليها فيما يلي:

1. إدراك خير الدين لمحدودية إمكانياته العسكرية بالمقارنة مع الإمكانيات العسكرية الهائلة التي يملكها الإسبان، والتي جعلت منهم دولة قادرة على خوض العديد من الحروب في إسبانيا وشمال إفريقيا ضد المسلمين، وفي أوربا ضد البروتستانت، وضد ملك فرنسا منافس شرلكان على زعامة أوربا. فضلا عن تقديم مختلف أشكال الدعم للنمسا لكي تتمكن من التصدي لحملات العثمانيين في شرق أوربا.

2. إن معرفة خير الدين لموازين القوى في الصراع الإسلامي ـــ المسيحي جعلته يرجح ضم جهده إلى أقوى دولة إسلامية في ذلك العصر، أي: الدولة العثمانية. فهي وحدها التي كانت مؤهلة لقبول ضم الجزائر إلى ممتلكاتها وبالتالي: حمايتها بدعمها بالمال والعتاد والرجال عندما يقتضي الأمر ذلك(18).

3. تخوفه من الزعماء المحليين في الجزائر. سواء كانوا أمراء أو شيوخ قبائل أو أعـــــــيان(19). فقد رأى من خلال سابق تجربته معهم مدى استعداد هؤلاء الزعماء للثورة والتمرد عند أول فرصة تتاح لهم. كما أدرك مدى

قدرهم على تهييج العامة ضد الأتراك مستعملين سلاح الترغيب تارة، والترهيب تارة أخرى. والأسوأ في هذا كله استعداد الكثير منهم للارتماء في أحضان الإسبان، حتى ولو كان ذلك على حساب الدين والوطن. وطالما أن حكام الشمال الإفريقي في هذه الفترة كانوا على هذه الشاكلة، فلا غرابة أن يرتاب في الولاءات الفورية التي كان يبديها هؤلاء الزعماء لينقضوها بنفس السرعة عندما تتاح لهم الفرصة !!.

وعلى هذا فإن سعي خير الدين لجعل الجزائر أيالة عثمانية إنما كان يرمي إلى البحث عن صمام أمان في وجه أي حركة تمرد أو غدر يمكن أن يقوموا به في أثناء انشغاله بأعداء الخارج .

4. عدم وجود قوة إقليمية في منطقة الصراع (شمال إفريقيا) يمكن التحالف معها، أو حتى الانضمام إليها لمواجهة الخطر الإسباني. فالمغرب كان يعيش في أزمات داخلية عرفنا بعضها في مدخل هذه الدراسة، وتونس رغم كونها كانت تعيش استقرارا نسبيا في السلطة. إلا أن سلطانها كان من الضعف بحيث بات عاجزا عن فرض سلطانه على ما تحت يده من البلاد فضلا عن أن يمتد يد سلطانه لحماية الجزائر. فقد احتل الإسبان بجاية و عنابة ودلس ومدينة الجزائر. وهي كلها كانت مدن ساحلية تابعة (اسميا) للدولة الحفصية . ومع ذلك لم يتخذ السلطان الحفصي أي خطوة جدية للدفاع أو لتحريرها. بل رأينا كيف أن تخوفه من انتصار الأتراك جعله يمتنع عن تزويدهم بالبارود لتحرير بجاية التي كانت تدخل ضمن ممتلكاته. وسوف نرى لاحقا كيف لا يتردد هذا السلطان في التواطؤ مع الإسبان في سبيل بقائه على عرش سلطنة متهالكة حتى ولو كان الثمن تعريض بلده للاحتلال ولشعبه للإبادة(20).

نتائج تأسيس أيالة الجزائر

1. حقق انضمام الجزائر إلى الدولة العثمانية أهدافا سياسية وعسكرية كثيرة أهمها تأمين حدود مصر الغربـــية، وتوسيع ممتلكات الدولة العثمانية دون أن تتحمل أية تبعات عسكرية أو مالية كبيرة كما تحملت ذلك في مصر والشام(21).

2. كما جعلت الدولة العثمانية من الجزائر ولاية ذات وضع خاص، فعرفت بناء على ذلك بنيابة الجـــزائر. ذلك لأن طبيعة موقعها وظروفها حولتها إلى قاعدة للوجود العثماني في غرب البحر المتوســـط(22). فصارت تبعا لذلك مسئولة عن إدارة شؤون الحكم في طرابلس الغرب، في المرحلة الأولى من الوجود العثماني في شمال إفريقيا. كما أوكلت إليها مهمة إلهاء الإسبان عن المشاركة في حروب أوربا ضد الدولة العثمانية في البحر والنمسا(23)، وذلك بالتصدي للعدوان الإسباني على سواحل شمال إفريقيا، وتأمين عمليات إنقاذ المسلمين في الأندلس .

3. كما كان من أثر ذلك أن سادت موجة عامة من الرعب في أوربا، خصوصا في إسبانيا عند إعلان انضمام الجزائر إلى الدولة العثمانية. لأن هذا الانضمام كان يعني بالنسبة لها وصول الخطر العثماني ليس لتهديد قواعدها العسكرية المتناثرة في شمال إفريقيا فحسب؛ بل يتعدى ذلك إلى تهديد وجودها في الأندلس التي مازال هاجس إعادة فتحها من طرف الأتراك العثمانيين يلوح لهم في كل حملة يقوم بها الغزاة(24). بل وتأكد هذا الرعب حينما عزم السلطان سليمان القانوني على فتح روما، بعد استيلائه على مملكة نابولي . فأرسل لأجل ذلك الأسطول العثماني بقيادة خير الدين بربروس لاحتلال أولونيا الواقعة على ساحل البحر الأدرياتيكي، وذلك سنة 1537(25).

4. ومنح خير الدين بعد لقائه بالصدر الأعظم إبراهيم باشا في حلب لقب بيكلربك، وهو أرفع المناصب السياسية في الدولة العثمانية والذي كان بمثابة نائب السلطان على تلك المناطق. لقد كان هذا المنصب يخوله مسؤوليات إدارية واسعة ، وتجعل منه قائدا عاما للجيش وممثلا للسلطان في إقليمه(26).

إن الأحداث التي كانت تعيشها هذه المنطقة الحساسة من غرب المتوسط تتطلب شخصية قوية ذات صلاحيات كبيرة تمكنه من إصدار القرارات الحاسمة والعاجلة في مجال الصراع المسلح مع إسبانيا. وقد تفهمت الدولة العثمانية هذه الظروف، وتعاملت معها بمرونة كبيرة كما هي سياستها مع جميع الأيالات التابعة لها في ذلك العصر(27).

5. ولا خلاف في أن انضمام الجزائر إلى ممتلكات الدولة العثمانية يمثل بداية مرحلة جديدة في تاريخ الجزائر المعاصر. فهو سوف يشهد ميلاد دولة جزائرية جديدة ممتدة تقريبا على نفس الحدود الجغرافية التي تمتد عليها الآن. كما سوف تشهد هذه المرحلة بروز الشخصية السياسية المتميزة للجزائر نتيجة لطبيعة الموقع الجغرافي ، والدور السياسي والعسكري الذي لعبته منذ تاريخ هذا الانضمام .

6. ومن جهة أخرى أدى بروز الجزائر على ساحة الأحداث الدولية في ذلك العصر إلى جعل شرلكان يتخبط في سياسته الولية بين الاستمرار في تثبيت وجوده في أوربا، وتصديه لحروب البروتستانت وفرنسا، وبين التفرغ الكامل للمسألة الجزائرية التي تؤرقه بغارات بحارتها على السواحل الإسبانية وسائر السواحل الأوربية المطلة على البحر المتوسط(28).

7. كما كان من أثر انضمام الجزائر إلى الدولة العثمانية أن أهالي طرابلس الغرب عندما رأوا الدعم المادي والمعنوي الذي حظي به أهالي الجزائر نتيجة لانضمام بلادهم إلى الدولة العثمانية، أن بعثوا في سنة 1519 وفدا عنهم يعرضون فيه تبعيتهم للسلطنة العثمانية، وذلك بغية تخليصهم من الاحتلال الإسباني. فاستجاب لهم السلطان العثماني، وعين لهم واليا يدعى مراد آغا لمعرفته باللغة العربية.

الهوامش:

1-قسمت الدولة العثمانية إداريا إلى ولايات كبيرة تحمل اسم أيالة، كما قسمت تلك الولايات إلى سناجق (جمع سنجق) أي ألوية (جمع لواء)، وقسمت الألوية إلى أقضية (جمع قضاء)، كما قسمت الأقضية إلى نواحي.

وكانت الأيالات تسيّر من طرف والي عام يحمل لقب: بكلربك (بايلرباي). واعتبارا من أواسط القرن 16 انتقلت إدارة الأيالات إلى الوزراء. وكان البيلرباي أو الوزير كما صار يعرف فيما بعد يمثل السلطة العثمانية في ولايته ويشرف على جميع الأمور المدنية والعسكرية، ويتمتع بصلاحيات مطلقة في ذلك. ما عدا المسائل القضائية والشرعية التي كانت خارج سلطته.

وفي أقصى اتساع الدولة العثمانية كانت الدولة تتكون من الولايات التالية:

ولايات الروملي: بودين، قارنيجة، أغري، تمشوار.

ولايات الأناضول: قارامان، مرعش، سيواس، طرابزون، تفة، ديار بكر، الشام، حلب، أرض روم، قارس، وان، الرقّة، شهرزور، الموصل، طرابلس الشام، كريت، قبرص، جزائر بحر سفيد (أي: جزر البحر المتوسط) مصر، اليمن، الحبشة، البصرة، بغداد، طرابلس الغرب، تونس، الجزائر.

هذا؛ وقد كانت بعض الولايات العثمانية تتمتع بتصنيف خاص يدعى: **مستثنى أيالتلر** MÜSTESNA EYALETLER (أي: **الولايات الاستثنائية**) وتتميز هذه الولايات باستثنائها من الأحكام العمومية التي تنظم بقية الولايات التابعة للدولة. وهذه الولايات هي: مصر، اليمن، الحبشة، البصرة، بغداد، طرابلس الغرب، تونس، الجزائر.

وأهم ما يميز هذه الولايات أنها لم تكن مقسمة وفق التقسيم الإداري الذي كان معمولا به في بقية والولايات الأخرى. كما أن الأراضي الزراعية لم تكن منظمة وفق التنظيمات العامة التي كانت مطبقة في الولايات الأخرى. فلم يكن فيها ما يعرف بأراضي التّمار (الإقطاع) و(الزعامة) و (الاختصاص) التي كانت تمنح للقيادات المحلية. بل روعيت النظم المحلية التي كانت موجودة في تلك الولايات قبل إلحاقها بالدولة العثمانية، وأبقي عليها كما كانت من قبل، طالما أنها لا تتعارض مع الأطر العامة للقوانين العثمانية.

وهذا الاستثناء يعود إلى أن تلك الولايات كانت تمتاز بخصوصيات خاصة: كأن يكون معظم أهاليها يتكونون من قبائل رحّل، أو يتشكلون من أديان ومذاهب شتّى، أو أن تلك الولايات كانت تتمتع بموقع استراتيجي خاص، أو أنها تقع على مسافة بعيدة جدا عن مركز الدولة إلى غير ذلك من الأسباب الخاصة. لمزيد من التفاصيل عن ذلك انظر:

Mithat Sertoğlu, *Osmanlı Tarih Lûgatı*, İstanbul 1986, s.106-234.

[2]- تم القضاء على دولة المماليك عقب الانتصارين الساحقين اللذين حققهما العثمانيون في معركتي مرج دابق شمالي حلب والريدانية على مشارف القاهرة في صيف 1516. وبهذا الانتصار انتقلت زعامة العالم الإسلامي إلى العثمانيين حيث اصطحب السلطان سليم الأول آخر خليفة عباسي: المتوكل على الله معه إلى إسطنبول. وهناك تنازل الخليفة ـــ أو أجبر على ذلك ـــ ليتولى السلطان سليم الأول على إثر ذلك منصب الخلافة الإسلامية.

[3] – عن سفارة بيري رئيس إلى إستانبول ، انظر : كاتب جلبي، **تحفة الكبار في أسفار البحار**، إسطنبول، 1934 ص27

[4]- انظر: **مذكرات خير الدين بربروس**، ترجمة محمد دراج، شركة الأصالة للنشر والتوزيع، ط1، الجزائر، ص 65

[5] –كان وصول الإخوة بربروس إلى تونس في حدود 1512

[6] –خط همايون: أمر ملكي أو سلطاني الذي يصدره السلطان إلى رعاياه أو رجال دولته. انظر:

Abdülkadir Yiğit ve diğerleri, ***Osmanlıca-Türkçe Sözlük, Büyük lugât***, İstanbul 2002, s.337 .

[7] –المذكرات، مصدر سابق، ص69

[8] –المصدر نفسه، ص 67. وسوف نلاحظ أنه بعد هذه الرسالة قام الأخوان بربروس بأول محاصرة لمدينة بجاية، والتي لم تكلل بتحقيق الهدف المنشود منها إلا أنها دلت على تغير ملحوظ في موازين القوى وتركت انطباعا بإمكانية التصدي للاحتلال الإسباني.

هذا؛ وقد اتفقت جميع المصادر العربية والتركية التي أرخت لهذه المرحلة أن أعيان وأشراف بجاية بعثوا إلى الأخوين بربروس يطلبون منهما التدخل لتحرير مدينتهم انظر : مجهول، **غزوات عروج وخير الدين**، تحقيق نور الدين عبد القادر، الجزائر 1934، ص25 ؛ ابن احمد بن أبي الضياف، **إتحاف أهل الزمان بأخبار تونس وعهد الأمان**، تونس 1999، 9/2؛ مولود قاسم نايت بلقاسم ، **شخصية الجزائر الدولية وهيبتها العالمية** قبل 1830، الجزائر 2008، 58/1 . بينما ذهب المؤرخ المغربي الناصري إلى أن الذي استدعى الأخوين بربروس هو أمير جبل كوكو الشيخ أحمد ابن القاضي انظر : الناصري أحمد بن خالد بن محمد السلاوي، **الاستقصا لأخبار المغرب الأقصى**، تحقيق جعفر الناصري ومحمد الناصري، الدار البيضاء، المغرب 1955، 192/4 ؛ ووافقه الباحث التركي سميح إلتر، **الأتراك العثمانيون في إفريقيا الشمالية**، ترجمة محمد علي عامر، بيروت 1989، ص47 . وخالف الأستاذ شكران حكوت الجميع إذ زعم أن دولة بني زيان هي التي طلبت من أروج التدخل لتحرير بجاية .انظر:

Şükran Hkkut,***Türklerin KuzeyAfrika'ya Gelişleri ve Garp Ocakları***,Hayat Tarih Macmuası, Ocak 1978,s.53.

و لم أجد في من تحدث عن الدخول العثماني إلى الجزائر من أيد الباحث شكران حكوت فيما ذهب إليه . وخلافا لهذه الآراء كلها، ذهب الأستاذ بن أشنهو إلى أن أمير بجاية عبد الرحمن الحفصي هو الذي دعا أروج رئيس لغزو بجاية . انظر : عبد الحميد بن أشنهـــو، **دخول الأتراك العثمانيين إلى الجزائر**، الجزائر (بدون تاريخ)، ص 64. ووافقه الباحث الجزائري محمد العربي الزبيري في ذلك، انظر: **مدخل إلى تاريخ الجزائر الحديث**، الجزائر 1985، ص 33–35. أما المؤرخ الجزائري أحمد توفيق المدني فقد ذكر أن ملك قسنطينة هو الذي طلب تدخل الأتراك، كما طلب ذلك العلماء والأعيان. انظر: أحمد توفيق المدني، **حرب الثلاثمائة سنة بين الجزائر وإسبانيا** (1492–1792)، الجزائر 2006، ص 162. والذي يمكن استخلاصه من هذا كله هو أنه من المحتمل أن أعيان بجاية قد كاتبوا أروج رئيس في مرات مختلفة، فيجوز أن يكون الأعيان قد كاتبوه باسمهم جميعا أو باسم الشيخ أحمد بن القاضي، كما كاتبه كل من الملك عبد الرحمن أو الملك أبو بكر أو كليهما قبل ذلك أو بعده. ولا تناقض بين هذه الروايات حسب ما يتبين من سياق الأحداث، نظرا لكون بجاية لم تكن تعيش في هذه الفترة في ظل وحدة نظام سياسي موحد ومتوازي، بل كان الصراع على السلطة مع ضعف المتنازعين وخروج الأمر من أيديهم هو السمة البارزة في هذه الفترة من تاريخ المدينة المذكورة. لكن الادعاء الذي يبدو واهيا هو ما ذهب إليه الأستاذ حكوت من أن الزيانيين هم الذين قاموا باستدعاء الإخوة بربروس لتحرير بجاية. والذي يضعف هذا الادعاء أمران : **الأول** : أن بجاية لم تكن من ممتكلات الدولة الزيانية في هذه الفترة، بل كانت خاضعة للحفصيين اسميا منذ فترة طويلة. **والثاني** : أن الباحث لم يشر إلى أي مصدر قديم يمكن الرجوع إليه للتأكد من صحة هذا الادعاء على الأقل. كما أننا لم نجد أحدا من المعنيين بتاريخ الجزائر في هذه المرحـــلة من وافقـــه في هـــذا الادعاء.

[9] عن موقف السلطان الحفصي من طلب الإخوة بربروس تزويدهما بالبارود للاستمرار في التضييق على بجاية لإجبار الحامية الإسبانية على الاستسلام انظر: ابن أبي الضياف، 10/2؛ رضا سيفي، **تحركات بحرية عثمانية**، إستانبول 1928، ص 20–21؛ كاتب جلبي، ص 28؛ سميح إلتر ، ص49 ؛ بن أشنهو، ص 65. المدني، ص 170

10– سميح إلتر ، ص 49 .

11-انظر:المذكرات، ص 76

12_المصدر نفسه، ص 76

13-نفسه، ص 76

14-الشيخ أبي العباس أحمد بن القاضي قاضي بجاية وملك كوكو. لعب دورا كبيرا في التمهيد لدخول الإخوة بربروس إلى الجزائر وترأس وفد أهالي الجزائر إلى اسطنبول لمقابلة السلطان العثماني وطلب ضمها إلى الدولة العثمانية لتحريرها من الاحتلال الإسباني وطردهم منها، وتسيير الولاية وفق القوانين العثمانية لذلك العصر.

15-لم أجد أي تعريف له في المصادر التي رجعت إليها. كما لم أجد أية معلومات من شأنها أن تسلط الضوء عن هذه الشخصية المهمة في تاريخ الجزائر الحديث.

16 -**المذكرات**، مصدر سابق، ص 96

17- الإنكشارية فرقة عسكرية مكونة من الفتيان الذين يتم تجميعهم من العائلات المسيحية في البلقان والأناضول واليونان وبلغاريا، وتتراوح أعمارهم بين 14 و18سنة. ويتم اختيار هؤلاء الفتيان بعناية كبيرة قبل أن يتم إرسالهم إلى الأناضول لتعلم اللغة التركية والتنشئة تنشئة إسلامية. ثم يلتحقون النابهون من هؤلاء الفتيان بثكنات الإنكشارية لتلقي التدريبات العسكرية اللازمة. وبعد ذلك يلحقون رسميا للخدمة بالجيش. هذا؛ وقد كان ممنوعا على الأترك ومسلمي البوسنة والعرب واليهود ومسيحيو طرابزون وبعض الطوائف المسيحية بإسطنبول من الالتحاق بهذه الفرقة لأعتبارات أمنية واستراتيجية أو اعتبارات خاصة أخرى. للتوسع انظر: يلماز أوزتونا، **تاريخ الدولة العثمانية**، ترجمة عدنان محمود سلمان، إسطنبول 1990، 2/388-397؛أحمد آق كوندز و سعيد أوزتورك، **الدولة العثمانية المجهولة**، إسطنبول 2008؛ ص74-80

18-عن الولايات ذات الامتيازات الخاصة انظر تعليقنا السابق الخاص بمفهوم الأيالة في الهامش رقم: 01 من هذه المقالة.

19- ابن أبي الضياف، مصدر سابق، 10/2 ؛ وانظر أيضا: التميمي ، **أول رسالة من أهالي مدينة الجزائر إلى السلطان سليم الأول سنة 1519** ، **المجلة التاريخية المغربية** ، العدد ، 5، سنة ، 1976 ص 99 ، القسم الفرنسي . والوثيقة توجد بأرشيف رئاسة الوزراء بإسطنبول تحت رقم : 6456. وانظر أيضا:

Ahmed Akgündüz, ***Belgeler Gerçekleri Konuşuyor***,İstanbul,sh,14-18.

20- محمد علي عامر ، **تاريخ المغرب العربي الحديث** ، ص 35

21- العروي ، **السلطنة الحفصية** ، تونس 1990 ، ص 378-679

22- سميح ألتر ، ص 73

23- ابن غلبون أبو عبد الله محمد بن خليل الطرابلسي، **التذكار فيمن ملك طرابلس وما كان بها من أخبار**، تحقيق أيمن البحيري، بيروت 1998، ص 100 ؛ وانظر أيضا: بروشين ، **تاريخ ليبيا في العصر الحاضر**، ترجمة عماد حاتم، طرابلس 1991، ص 26 .

24- يحيى بوعزيز ، **من تاريخ الجزائر في الملتقيات الوطنية والدولية** ، الجزائر ، 1984 ، ص 45 .

25- المدني ، 205 .

26 Danişmend,II.s. 192.

27 يرى بعض الباحثين أن الجزائر أصبحت أيالة عثمانية اعتبارا من سفر خير الدين بربروس إلى إسطنبول بدعوة من السلطان سليمان القانوني له سنة 1533 . انظر: محمد علي عامر ، **تاريخ المغرب العربي الحديث**، مرجع سابق، ص 47 ؛ نيقولا إيفانوف ، **الفتح العثماني للأقطار العربية (1516-1574**)، ترجمة يوسف عطا الله، بيروت 1988، ص 109 .ولكن هذا الرأي ليس بوجيه. بل انضمت الجزائر إلى الدولة العثمانية عقب عودة السلطان سليم إلى اسطنبول بعد فراغه من فتح مصر، حيث وصل إلى إسطنبول وفد برئاسة الشيخ أحمد ابن القاضي حاملا رسالة من الأهالي يعرضون فيها تبعيتهم الطوعية للسلطنة العثمانية كما سبقت الإشارة إلى ذلك. وتم قبول عرض أهالي الجزائر وتعيين خير الدين بيلربك عليها. وأما الذي حدث في أثناء زيارة خير الدين ـــ كما سيتضح فيما بعد ـــ فهو تأكيد لتبعية الجزائر للدولة العثمانية، وتأكيد ولاية خير الدين عليها بالإضافة إلى توليه قيادة البحرية العثمانية. ولا تعارض بين الروايات التي تحدثت عن الدخول العثماني كما توهم الأستاذان علي عامر، و إيفانوف ومن تبعهما في رأيهما.

28- محمد خيري فارس ، **تاريخ الجزائر**، مصدر سابق ، ص 30 .

29- المرجع نفسه، ص 41